

الدلالة التاريخية والرمزية الدينية للبرنيق في مصر القديمة

د. خالد على محمد أبو الحمد

مدير عام آثار الإسكندرية - وزارة الآثار

مقدمة :

إن عناية المصريين القدماء بتربية حيواناتهم تحتم علينا أن نبحث في أصل عقائدهم الدينية، فقد كانوا يقدسون كثيراً من الحيوانات التي تتصل بحياتهم، وهم لم يقدسوا الحيوان لذاته، إنما قدروا فيه سراً من أسرار الخلق ولوناً من ألوان قدرة المعبود الخالق حسب معتقداتهم . والمصريون قد روعهم مشاهدة الحيوانات المفترسة والضرر الذي تلحقه بهم، فأخذوا يفكرون فيها ووجدوا أن خير سبيل إلى جلب خيرها أو اتقاء شرها أن يتقربوا إليها، وهم في كلتا الحالتين إنما عبدوا الروح الخفى في الحيوان الذي يتقمصها، وعلى ذلك فقد كانت هذه المعبودات الحيوانية ليست إلا مظهراً مجسداً لقوة الإله الخفى العظيم⁽ⁱ⁾. ولقد تضمنت بيئة المناقع المصورة على جدران مقابر أشراف عصر الدولة الحديثة العديد من أنواع الحيوانات المختلفة، والتي صُورت في المقابر منذ عصر الدولة القديمة وما تلاها من عصور مثل أفراس النهر، والتماسيح، والسلاحف، والضفادع، وربما سباع البحر أيضاً⁽ⁱⁱ⁾، والنمس وثعلب الماء (ويُسمى الفضاغة)⁽ⁱⁱⁱ⁾، والتي استمرت في الظهور فيما بعد عصر الدولة القديمة، إلا أن عصر الدولة القديمة امتاز بظهور الضفادع ضمن مناظر البرك والمستنقعات المصورة على جدران المقابر كما يتضح من منظر مقبرة "مريوكا"^(iv)، بالإضافة لظهور السلحفاة في مياه المناقع حيث ظهرت ضمن مناظر مقبرة "محو"^(v)، في حين غابت القطة عن الظهور ضمن مناظر نفس الفترة. ويذكر Klebs أن فئران الحقول لم تظهر خلال عصر الدولة القديمة ضمن مناظر المناقع، ويذكر أنها ظهرت ضمن مناظر عصر الدولة الوسطى في مقابر بني حسن، حيث ظهرت بجانب منظر مبارزة الصيادين (عراك البحارة) وصيد الطيور، وهم كانوا يعيشون في ذلك الحين في الكهوف والمقابر^(vi). وتجدر الإشارة إلى أن الاسم العلمي لحيوان البرنيق أو كما يتم تصنيفه تبعاً لفصيلة البرنيقيات هو (Hippopotamidae)، وهي فصيلة من الثدييات تتبع رتبة مزدوجات الأصابع، وهناك نوعان فقط في هذه الفصيلة، وهما فرس النهر القزم وفرس النهر. وهي تعتبر من الثدييات كبيرة الحجم، ولها أقدام قصيرة، وجسمٌ مُمتلئ، وأفواه ضخمة، ورؤوس كبيرة، ولديهم أربعة أصابع، ويتغذون على النباتات^(vii). وقد كان البرنيق أو كما يُسمى فرس النهر واحداً من أهم الحيوانات التي ظهرت بكثرة في المناظر المصرية القديمة بالإضافة إلى التمساح، حيث ظهر ضمن مناظر مقبرة "خنم - حنتب" ببني حسن في منظر لصيد الأسماك، حيث تواجد وظهر أسفل قارب الصيد من جهة اليسار فرس نهر يدير رأسه تجاه صاحب المقبرة فاتحاً فمه، وكأنه يحذره من أن يصطاده، وعلى الجانب الآخر يظهر تمساح^(viii)، وأيضاً في المقبرة نفسها في

منظر لصيد الطيور بالعصا، يوجد أسفل القارب فرس نهر جهة اليمين، وجهة اليسار يظهر تمساح ويعلوه ثعبان الماء (شكل 1) (ix). وجاء التمساح أيضاً ضمن مناظر مقبرة "اوخ - حنتب" رقم B2 بمير، حيث يظهر تمساح بين قارين في الماء فيما يُعرف بمناظر (مبارزة الصيادين) فوق أحد الأشخاص وقد تدلت رأسه من القارب ويكاد يسقط في الماء (شكل 2) (x). أما مقبرة "سنبى" فقد تضمنت عدة أفراس نهر في منظر مزدوج لصيد الطيور والأسماك، حيث يظهر حوالى ستة أفراس نهر، اثنان منهم يجاران والباقي يجلس في سكون وهدوء (شكل 3) (xi). وضمت مقابر عصر الدولة الحديثة أيضاً العديد من المناظر التي تصور فرس النهر والتمساح، ولكن من أجمل هذه المناظر ما ورد في مقبرة "إنتف" رقم (155) في منظر لصيد الطيور بالعصا، حيث يظهر تمساح أسفل القارب يلتهم سمكة وفي الغالب هي سمكة بوري (انظر شكل 4) (xii)، ويذكرنا هذا المنظر بمنظر مقبرة "كاجمني" من عصر الدولة القديمة، حيث صور تمساح يلتهم سمكة قرموط (xiii)، ونلاحظ أن مناظر فرس النهر في عصر الدولة القديمة، كانت أكثر حركة وحيوية، فتارة نرى تمساح ينتظر أنثى فرس نهر تضع وليدها ليلتهمه بمقبرة "إيدوت"، وتارة أخرى نرى فرس نهر يُهاجم تمساح بمقبرة "كاجمني" (xiv).

(i) وليم نظير: الثروة الحيوانية عند قدماء المصريين، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، (د.ت)، ص 27.
- Bonnet, H., Löwe, In: Realexikon der ägyptischen Religion geschichte, Berlin, 1953, pp. 427-429.

(ii) عبد الحميد عزب: الأبحاث في مصر الفرعونية منذ عصر ما قبل الأسرات وحتى نهاية الدولة القديمة، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة طنطا، ص 26، 63
(iii) Eggebrecht, A., L'Egypte Ancienne, Paris, 1993, P.28.

(iv) عبد الحميد عزب: مرجع سابق، ص 75، شكل 27.

(v) عبد الحميد عزب، نفس المرجع: ص 61، شكل 16.

(vi) Klebs, L., Die Reliefs und Malereien des mittleren Reiches (VII.-XVII. Dynastie, ca. 2475-1580 Chr.), Heidelberg, 1934, p.57.

(vii) Integrated Taxonomic Information System (ITIS). <http://www.itis.gov/index.html>

(viii) Newberry, P.E., Beni Hasan, Vol. I, London, 1893, Pl. XXXIV.

(ix) Newberry, P.E., Beni Hasan, Vol. I, Pl. XXXII.

(x) Blackman, A.M., The Rock tombs of Meir, Egypt Exploration fund, 1914, Vol. II. Pl. IV.

(xi) Blackman, A.M., The Rock tombs of Meir, Vol. I, Pl. II.

(xii) Säve-Söderbergh, T., Private tombs at Thebes, Vol. I, Four Eighteenth Dynasty Tombs, Oxford 1957, p.16, Pls. XIV, XV.

(xiii) عبد الحميد عزب: مرجع سابق، ص 60.

(xiv) عبد الحميد عزب، نفس المرجع، ص 57، 58، شكل 11، 14.